الفصل الثالث

تأثير السياق على المعنى

عند دراسة تعدد معنى الكلمة في صيغة فعل وأفعلت وجدت أن الكلمة الواحدة – كما مر علينا في التحليل السابق لكلمات الزجاج – تحمل أكثر من معنى، ويأتي السياق ليحدد معنى هذه الكلمة، ليس عند تحويلها من فعلت إلي أفعلت، بل في صيغة فعلت وحدها؛ فنجد عدة معان تأتي من هذه الصيغة، وكذلك في صيغة أفعل .

وقد بحثت عن أسباب ذلك وكيف تحمل الصيغة الواحدة أكثر من معنى ؟ وما دور السياق في التمييز بين تلك المعاني في الصيغة الواحدة؛ فوجدت أن الكلمة يتحول معناها نتيجة لاقترانها بكلمة أخرى.

ونتيجة لدخولها في تركيب معين ، ذلك على مستوي كلمات فعلت وأفعلت التي سبق دراستها .

فاقتران الكلمة بكلمة أخرى كون لنا المعنى الجديد، والذي ينخلع عنها عندما تقترن بكلمة ثانية، ثم نجد أنه لا علاقة بين المعنى في التركيب الأول والمعنى في التركيب الثاني، وربما لا علاقة للمعنيين بالمعنى الأصلي للكلمة، وهذا يحدث أيضاً عندما ترد الكلمة في تركيبين، لكل منهما دلالته الخاصة .

وهذا ما سماه د. أحمد مختار عمر بالتركيب الموجد: (فهو ما يتكون من اثنين أو أكثر من الصيغ الحرة، أو ما يتكون من مجموعة كلمات يتصرف تجمعها ككل بطريقة مختلفة عن الطبقة الدلالية للكلمة الرئيسية: head word (ومثال ذلك: pine applc) (أناناس) فهو ليس نوعاً من التفاح، ومثله البيت الأبيض white house الذي يشير إلى

مبنى ولكن إلى مؤسسة سياسية، وعلى هذا فحين يصنف دلالياً لا يمكن وضعه مع الكلمات التي تدل على الإقامة مثل فيلا – كوخ – بيت – قصر ... ولكن يجب أن يوضع ضمن المجال الذي يتعلق بالمؤسسات الحكومية: مثل[1] Supreme court,senate house وقد وردت كلمات تحمل هذه الخصائص فيما ذكرت من قبل في هذا الجزء نذكر هنا هذه الكلمات بالمعنى الخاص بها مع فعل، والمعاني الخاصة بها مع أفعل وما كان من هذه المعاني في تركيب، وما كان منها مع كلمة أخرى فقط،

ثم نسجل بعض الملاحظات على هذه المعاني، كما بهذا الجدول:

فعل	المعاني الخاصة بها	افعل	المعاني الخاصة بها
جزأت جزيت	١- بالشيء اكتفيت به ٢- الرجل على فعله كافأته	أجزأني أجزيت أجزأت أجزأت	الشيء كفأني عن فلان إذا قمت مقامه السكين: جعلت له جزأة أي مقبض المرأة: ولدت الإناث دون الذكور
حس	١- حس الرجل القوم قتلهم ٢- حس الدابة بالمحسة	أحسن	بالشيء إذا علم به
دلوت	١- دلوت الدلو أخرجتها من البئر ٢- دلوت الإبل في الطريق إذا سار فيه	أدليت	١- أدليت الدول في البئر أرسلتها لتملأها ٢- أدلي الرجل بحجته أتي بها
درج	١- درج الرجل إذا مات ٢- درج في الطريق إذا سار فيه	أدرج	أدرج القرطاس إذا لفه
حلا	١- حلا الرجل إذا ضربته بالسيف ٢- حلات الإبل عن الماء إذا منعتها منه	أحلأت	١- أحلأت الرجل إذا حككت له من الحجر ما يكحل به عينه عند الرمد

(١) علم الدلالة، د. أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٣٣-٣٤.

رزم	١- رزمت المتاع إذا جمعت بعضه إلى بعض ٢- رزم البعير إذا هزل وأعيا	أرزم	أرزم الرعد إذا صوت
سفر	١- سفر الرجل الشيء إذا كشفه ٢- سفر بين القوم إذا أصلح بينهم	أسفر	أسفر الشيء إذا أضاء
سر	١- سررت الرجل من السرور ٢- سررت الصبي إذا قطعت سرته	أسررت	أسررت الشيء أخفته

نلاحظ :

١- أن المعاني المرتبطة بفعل أكثر من المعاني المرتبطة بأفعل، وكأن فعل هي أصل المعاني المتولدة من الصيغتين وأفعل مكملة لها .

٢- أن المعاني تتغير في فعل إذا اقترنت بالإبل بعد أن كانت مقترنة بالرجل أو بشيء آخر .

٣- الإلحاح على ذكر الإبل في المعنى، وتغير المعنى بعد إضافة كلمة الإبل دليل على مكانة هذا الحيوان دون غيره عند هؤلاء القوم، وفي تلك البيئة .

٤- تغير المعنى لمجرد تغير الاسم الذي يسند إليه الفعل من حيوان إلى إنسان أو العكس، فيصبح تغير معنى الفعل متوقفاً على الاسم الذي بعده من حيوان إلى إنسان أو العكس، فحلأت الرجل غير حلأت الإبل، ودلوت الدلو غير دلوت الإبل، ورزمت المتاع غير رزم البعير .

ولكن ما السبب في أن يصبح للكلمة أكثر من معنى ؟ هذا نتيجة الفرق بين معنى الكلمة ومعنى السياق .

معنى الكلمة ومعنى السياق:

هناك فرق كبير بين معنى الكلمة المفردة حين تكون في المعجم، ومعنى الكلمة داخل السياق أو التركيب الذي ترد فيه، ومن هذا الفرق

تنشأ المعاني المختلفة لصيغة فعل وصيغة أفعل .

إن المعاني المختلفة التي رأيناها آنفاً لكل من صيغة فعل أو أفعل صنعتها عوامل وظروف اقتراض من داخل اللغة إلي لغة أخري حتى يتولد من المعنى معان كثيرة. وهذا الأمر يجعلنا نعيد النظر إلى تلك المعاني والمعنى الأصلي للكلمة، حيث نجد للكلمة معنى مرتبط في بدايته بشيء حسي (في الغالب)، وقد يكون هذا الشيء هو الإنسان نفسه، ثم ينتقل في الاستعمال على سبيل المجاز إلى ما جاور الإنسان من جماد أو حيوان، ثم ينتقل بعد ذلك من المعني الحسي إلى المعنى المعنوي، هذا التصور من خلال التطبيق الذي رأيناه آنفاً – يعد صحيحاً في أغلبه – فيبدأ الأمر بصيغة فعل ثم ينتهي بصيغة أفعل فيكون نصيبها في الغالب المعاني المعنوية، وكذلك ما اتصل بغير الإنسان في كثير من الأحيان ولكن قبل هذا التعدد في المعنى نجد أن الكلمة لها معنى أصلي أو المعنى المعجمي الذي يوجد في المعجم، وهذا المعنى المعجمي كما يقول د. تمام حسان: (من طبيعة المعنى المعجمي أن يكون متعدداً ومحتملاً، وهاتان الصفتان من صفاته تقود كل منهما إلى الأخرى، فإذا تعدد معنى الكلمة المفردة حال انعزالها تعددت احتمالات القصد، وتعدد احتمالات القصد يعتبر تعدداً في المعنى، والذي يجب ألا يغيب عن أذهاننا دائماً أن الكلمة في المعجم لا تفهم إلا منعزلة عن السياق، وهذا هو المقصود بوصف الكلمات في المعجم بأنها (مفردات).. إن تعدد معنى الكلمة في المعجم يرجع إلى صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق، وثبوت ذلك لها يسبق استعمالها في نصوص عربية قديمة وحديثة، ومن صلاحياتها للدخول في أكثر من سياق يأتي تعدد معناها واحتماله في حالة الإفراد... أما حين تدخل في السياق فإن معناها لا يسمى معجمياً نظراً إلى أن السياق يحفل بالكثير من القرائن الحالية والمقالية التي قد

تعطي الكلمة من المعاني ما لا يرد على بال صاحب المعجم ... ولعل تعدد المعنى واحتماله من جهة وتحدده وتعينه من جهة أخرى هو الفارق الأساسي بين الكلمة التي في المعجم، واللفظ الذي في السياق [1].

إن الفارق بين الكلمة في المعجم وفي السياق هو صلاحيتها؛ فهي في المعجم صالحة لأن تدخل في أكثر من سياق – كما يقول د. تمام حسان – ولكن إذا تدبرنا الأمر أكثر وجدنا أن هذا التعدد والاحتمال في المعنى يرجع إلى طبيعة الكلمة نفسها، أي معناها الأصلي، وما يمكن أن يتولد عنه من معان جانبية أو ما يعرف بظلال المعنى أو ما يعرف أيضاً باللفظة الموحية، وبذلك يمكن أن نستنتج منها كثيراً من المعاني الجديدة والذي يعطيها الصلاحية للدخول في أكثر من سياق .

أما السياق فهو الثوب الذي تلبسه اللفظة في هذا المقام دون غيره لتعطي هذا المعنى بالتحديد دون الاحتمالية الدلالية، أو المعاني المتعددة كالمعاني المعجمية أي كما كانت وهي في المعجم .

يقول فندريس: (إننا حينما نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما، إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعنيه سياق النص، أما المعاني الأخرى جميعها فتمحى وتتبدد ولا توجد مطلقاً، فنحن في الحقيقة نستعمل ثلاثة أفعال مختلفة عندما نقول: (الخياط يقص الثوب) أو (الخبر الذي قصة الغلام صحيح) أو (البدوي خير من يقص الأثر).. فإني أستعمل في الواقع ثلاث كلمات لا يربطهما أي رباط، لا في ذهن المتكلم ولا في السامع [2]، وهذا الانخداع الذي أشار إليه فندريس هو الذي أوقع القدماء في قضية فعلت وأفعلت

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٣٢٥.
(٢) اللغة، فندريس، تحقيق عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة، ١٩٥٠م، ص٢٢٨.

وقالوا: إنهما مختلفان في المعنى، والحقيقة أنهما متشابهان في اللفظ تماما فقط، ولكنهما مختلفان في المعنى، حيث كل لفظة تحمل دلالة مختلفة تماماً عن الأخرى، ويأتي السياق – الذي أشرت إليه آنفاً بأنه الثوب الذي تلبسه اللفظة ـ فيحدد معنى كل لفظة، وهي داخله كثوب الجندي الذي يختلف عن ثوب الرياضي أو الشرطي، مما يدل على مهنة صاحبه حين يلبسه، وكذلك السياق الذي يحدد معنى الكلمة حين توضع فيه وكذلك لو كان هذا الشخص يمتهن أكثر من مهنة فله أكثر من ثوب، وكذلك الكلمة وحدها هي التي تحدد بإمكانيتها – التي ذكرتها آنفاً – عدد المعاني التي يمكن أن تعطيها، في مقابل كلمة أخرى لا تحمل إلا معنى واحدا .

ويوضح فندريس كيفية التحول من المعاني المختلفة للكلمة إلى المعنى المطلوب للسياق، فهناك كثير من المعاني المرتبطة بالكلمة، وهناك معنى واحد يفرضه السياق يقول فندريس: (الكلمة بكل المعاني الكامنة توجد في الذهن مستقلة عن جميع الاستعمالات التي تستعمل فيها مستعدة للخروج والتشكل بحسب الظروف التي تدعوها.

تنوع الاستعمالات التي تصلح لها الكلمة لا تخلع عليها قيمة عامة، إذ لا يوجد بين القيم المختلفة التي تصلح لها الكلمة قيمة وسطى، بل كل واحدة منها موجودة بأسرها لا تنتظر لتعزيز وجودها إلا إشارة واحدة. وإذا كان هناك شيء من التردد، فإن ذلك التردد لا يرجع إلى القيمة نفسها، بل إلى الظروف التي تتدخل فيها، في ذهني مثل كلمة (بنت fille) فمعانيها لا يختلط بعضها ببعض بل تبقى كل منها تحت تصرفي ساعة أحتاج إليها، ومع ذلك فليس عندي في ذهني إلا كلمة واحدة هي fille بنت، هذه الكلمة نفسها ليست منعزلة ، بل مسجلة في ذهني مع كل حالات السياق التي سبق أن أدخلتها فيها، ومع كل الارتباطات التي تصلح للاشتراك فيها: بنات وبنين – بنت طيبة – بنت أم

– بنت ملجأ ... إلخ فأراني أربطهما في آن واحد بعدة عائلات من الكلمات، وهي تثير في نفسي عدداً من التصورات .. تشع منها في جميع الجهات [1].

(ليس في الذهن كلمة واحدة منعزلة، فالذهن يميل دائماً إلى جمع الكلمات إلى اكتشاف عرى جديدة تجمع بينها، والكلمات تتشبث دائماً بعائلة لغوية بواسطة دال المعنى، أو دوال النسبة إلى تميزها أو بواسطة الأصوات اللغوية التي تتركب منها لا أكثر من ذلك، فنحن نشعر بأن الكلمات: إعطاء، عطية، عطاء، معط، معطي... إلخ، تكون عائلة قائمة بذاتها تتميز بعنصر مشترك هو الأصل (ع ط ي) مهما تنوعت معاني المشتقات، ... ولكن من الكلمات إعطاء ومعطي... إلخ، تكون مجموعات أخرى، فإعطاء ترتبط بإجلال وإعظام... إلخ ومعط يرتبط بها مغن ومزر... إلخ، ومعطي يرتبط بها كلمات مثل مرضي وملغي... إلخ، فهناك إذن تداخل بين المجموعات)[2].

إن هذا الشرح من فندريس يوضح أن الكلمة في الذهن قد كونت لها عدة ارتباطات نتيجة لطبيعتها الدلالية تكثر أو تقل حسب القيمة الدلالية لهذه الكلمة، والسياق هو الذي يتخير لها الثوب الملائم حسب الموقف الخاص بهذا السياق.فكل هذه المعاني المرتبطة بهذه الكلمة موجودة في ذهن المتكلم، فكلمة مثل قص التي ذكرها فندريس تحمل في الذهن دلالات متباينة لا يرتبط أحدهما بالآخر نحو: (قص الثوب – قص الحكاية – قص الأثر) فكل معنى يسير في اتجاه مغاير تماماً للآخر لا يربطهم إلا الجذر اللغوي (ق ص ص)، والذهن يتخير المعنى الذي يفرضه السياق .

ويشير د. حلمي خليل إلى رأي فيرث في مفهوم المعنى وتحليله فيقول:

---

(١) اللغة، فندريس، ٢٣٢،
(٢) المرجع السابق، ٢٣٢.

(ومفهوم المعنى عند فيرث ليس شيئاً في الذهن أو العقل، كما أنه ليس علاقة متبادلة بين اللفظ والصورة الذهنية للشيء، وإنما هو مجموعة من الارتباطات والخصائص والمميزات اللغوية التي تستطيع التعرف عليها في موقف معين ويحددها لنا السياق

ولا سبيل إلى الوصول إلى هذا المعنى إلا بالسير في مراحل وخطوات التحليل) [1]، وهذا الكلام يجعل السياق أساس المعنى، حيث هو الذي يحدد لنا الارتباطات والخصائص اللغوية التي تكوِّن معنى الكلمة في داخل هذا السياق أو الموقف المعين .

إن هذا الحوار مع معنى السياق ومعنى الكلمة يفسر لنا كيف يتعامل الفرد في داخل المجتمع اللغوي مع المعاني المختلفة للكلمة، حيث يقوده السياق إلى المعنى المطلوب من بين هذه المعاني، وكذلك تتضح قوة حجة القدماء في التأليف المعجمي الخاص بمسألة (فعل وأفعل) حيث لاحظوا أن الكلمة الواحدة لها أكثر من معنى سواء كانت على صيغة فعل وأفعل، وأن هناك اختلاف بين معاني هذه الكلمة (فعل أفعل)، وقد أوضحوا دور السياق في ذلك عندما ذكروا كل كلمة في داخل السياق الذي يعطيها هذا المعنى دون غيره .

يبقى سؤال أخير في هذه القضية؛ وهو متى حملت هذه الكلمة تلك الدلالات والمعاني المختلفة ؟.

إننا إذا أجبنا على هذا السؤال بأن تلك المعاني جاءت نتيجة لاختلاف اللهجات في معانيها التي تحملها للكلمة نفسها نكون قد أجبنا إجابة جزئية على هذا السؤال، فهناك أسباب أخرى إلى جانب هذا السبب حمَّلتْ الكلمة معانيها المختلفة، فالكلمة هي تراث الشعوب يتوارثها الأبناء من الآباء بمعانيها المختلفة.

---

(١) الكلمة، د. حلمي خليل، طبعة دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٥م، ص١٥٩.

ثم يضيف كل جيل لها المعنى الجديد الذي يبقى إلى جوار المعاني القديمة، والذي قد يبقى أو يندثر، ومن هنا يصبح للكلمة أكثر من معنى، ثم يأتي السياق ليميز بين تلك المعاني.

يقول فندريس: (الذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات إنما هو السياق إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، بالرغم من أن المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية [١].

ويوضح لنا د. تمام حسان وسائل السياق لتحديد المعنى الخاص بالكلمة قائلاً: (إن معنى الكلمة في المعجم متعدد ومحتمل، ولكن اللفظ في السياق واحدٌ ولا يتعدد بسبب ما يأتي:

أ- ما في السياق من قرائن تعين على التحديد.

ب- ارتباط كل سياق بمقام معين يحدد في ضوء القرائن الحالية[٢].

ولكن تعدد معاني الكلمة المنعزلة عن السياق يأتي من المعنى الأصلي للكلمة وطبيعته حيث هو الذي يؤهلها لتعطي تلك المعنى المختلفة في السياقات المختلفة، وتنمو هذه المعاني المتولدة من المعنى الأصلي، وتتشابك حتى تبدو في بعض مراحلها غريبة عن المعنى الأصلي فتسأل كيف تحول هذا المعنى الأصلي إلى تلك المعاني ؟ يقول د. حلمي خليل: (إن الكلمة في حال انعزالها لا تدل إلا على دلالات عامة، أو بمعنى آخر تدل على معقول أو متصور concept كما يقول ادورسابير، ومن هنا يأتي التعدد والاحتمال في المعني للكلمة)[٣].

---

(١) اللغة، فندريس، ٢٣١.
(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، ٣١٦.
(٣) الكلمة، ١٥٦.